mroftalp htehaB ni knil muideM

رحلة اليقين ٨: لماذا نحن هنا في هذه الحياة؟

إياد قنيبي

لماذا أنا هنا في هذه الدنيا؟ ما الغاية من وجودي؟ - 00:00:00
إلى أين المصير بعد الموت؟ - 00:00:04
أسئلةٌ فطريّةٌ غائيّة؛ أيْ نتساءل بها عن الغاية من وجودِنا، - 00:00:06
أسئلةٌ تميّزنا عن الحيوانات الّتي لا تحرّكها إلّا الغرائز، - 00:00:11
هذا المكوّن الفطريُّ: الشُّعور بالغائيّة، هوَ رحمةٌ وعذابٌ - 00:00:15
كما سنرى في هذه الحلقة... - 00:00:20
الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله - 00:00:36
الشُّعور بالغائيّة رحمةٌ وعذاب؛ - 00:00:39
رحمةٌ في المنظور الإيماني؛ لأنّه يدفع الإنسان دفعًا إلى البحث عن الجواب، - 00:00:41
فينجذبُ إلى الدِّين الحقّ، - 00:00:46
الّذي يجيب عن هذه التّساؤلات إجاباتٍ شافيةً، تروي العطش، تقنع العقل، - 00:00:48
فيتّصل الإنسان بربّه، ويستمدُّ مِن نور الوحي الخالص، - 00:00:53
ويصبح كمركبةٍ كانت تائهةً في الفضاء، ثمّ اتّصلت بمصدرها وغايتها، - 00:00:57
فأصبحت تسير وفق خطّةٍ مرسومةٍ لترسوَ بأمان - 00:01:03
لكنّ هذا المكوّنَ الفطريّ في المقابل عذابٌ للملحد؛ لأنّه يثير تساؤلاتٍ لا جواب لها، - 00:01:08
وإذا حاول الجواب، فإنّه سينتهي بالشُّعور بالعدَميّة، واللّامعنى، واللّاقيمة - 00:01:14
في هذه الحلقة سنرى نموذجًا من هذا العذاب، - 00:01:20
ثمّ نرى تخبُّطاتِ الملحدين في التّهرُّب من هذا العذاب، - 00:01:23
ثمّ نرى كرامة الإنسان في الإيمان، وحقارته في الإلحاد - 00:01:27
وليم بروفاين "enivorP mailliW"، - 00:01:31
بروفيسور تاريخ علم الأحياء، من جامعة كورنيل "ytisrevinU llenroC"، - 00:01:31
هو شخصٌ ملحدٌ، - 00:01:34
إلى ماذا قادَه إلحادُه؟ تعالوا نرَ... - 00:01:35
]لا آلهةً، لا حياةً بعد الموت، لا قاعدةً مُطلقةً للأخلاق، - 00:01:40
لا معنًى نهائيًّا للحياة، ولا إرادةً حرّةً للإنسان - 00:01:47
هذه كلها مرتبطةٌ بعمقٍ بالمنظور التطوريّ - 00:01:52
أنت هنا اليوم وسترحل غدًا، وهذا كلُّ ما في الأمر[- 00:01:57
إذن، بروفاين يقول لك مثل ما قال الأوّلون: - 00:02:04
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾]القرآن 54: 42[- 00:02:06

ويقرُّ بأنّ هذا يعني انعدامَ أيِّ معنى أو غايةٍ للحياة - 00:02:12
بروفاين كان قد شُفي من سرطان الدِّماغ، لكنّه يتوقّع عودة المرض، - 00:02:16
إلى ماذا قادَه إلحادُهُ في التّعامل مع هذا التوقُّع؟ تعالوا نرَ... - 00:02:20
]أنا لن أجلس يائسًا مثل ما فعل أخي الأكبر في السنة الماضية، - 00:02:27
وهو كان يموت من مرض لوجيرج، وأراد للغاية أن يموت، - 00:02:32
لكنّنا لم نستطِع أنْ نساعده ليموت، أنا لا أريد أنْ أموت بهذه الطريقة، - 00:02:38
أنا سأطلق النار على رأسي قبل أنْ أصل إلى تلك المرحلة[- 00:02:42
هذه النّتيجة إذن! - 00:02:46
بما أنّه لا غاية ولا معنى للحياة، - 00:02:48
فإمّا أن تكون هذه الحياةُ جميلةً، جمالًا ماديًا بهيميًا، - 00:02:50
وإلّا فمن الأفضل لي أن أُنهيها بنفسي - 00:02:54
لذلك نقول: سؤال الغاية عذابٌ لمنكِر وجود الله - 00:02:58
تعالوا نرى نماذج من تعامل الملحدين مع سؤال الغاية وعذابه، - 00:03:02
ومِن تهرُّبِهم مِن هذا السؤال... - 00:03:07
سُئِل الملحد ريتشارد دوكينز "snikwaD drahciR"، - 00:03:09
عمّا إذا كان العلم يجيب عن سؤال:)لماذا نحن هنا في هذه الحياة؟(- 00:03:10
فبماذا أجاب؟ فلنشاهد... - 00:03:15
]- عالمٌ فاز بجائزة نوبل بيتر ميدور "rawadeM reteP" يقول: - 00:03:19
سؤال)لماذا نحن هنا؟(لا يمكن إجابته بالعلم، - 00:03:23
ولا أفهم كيف يمكننا أن نقول ذلك بثقةٍ! - 00:03:28
- ما سأقوله جوابٌ عن سؤالك)لماذا(هو: - 00:03:37
لماذا تظنُّ أنّ مِن حقّك أن تسأل هذا السؤال؟! إنّه سؤال بلا معنى - 00:03:40
إذا سألت: لماذا توجد الجبال؟ إنّ هناك أسئلةً هي ببساطةٍ لا تستحق جواباً! - 00:03:45
يمكنك أن تجيب عن سؤال)لماذا توجد الجبال؟(بالحديث عن العمليّات الجيولوجيّة - 00:03:53
التي تُوجِد الجبال، ولكن ليس هذا ما تريده، - 00:04:03
أنت تريد غايةً من وجود الجبال، إنه سؤالٌ سخيفٌ لا يستحقُّ جواباً[- 00:04:06
إذن، حَسْبَ دوكينز، سؤال:)لماذا نحن هنا في هذه الحياة؟(- 00:04:17
سؤالٌ سخيف، لا يستحقُّ جواباً، وليس من حقِّ السّائل أن يسأله - 00:04:21
عجيب! حتّى الأطفال يسألون عن الغاية مِن كلِّ شيءٍ يرونه، - 00:04:26
أمّا حَسْبَ الإلحاد: - 00:04:30
فمن السّخافة أنْ تسألَ عن الغاية مِن وجود الإنسان، - 00:04:31
الّذي يُفترض أنّه أهمُّ شيءٍ في هذه الحياة - 00:04:35
العلم التّجريبي يحاول معرفة الغاية من وجود الأشياء والظّواهر الطّبيعيّة حولنا، - 00:04:38
حَسْبَ الإلحاد: استكشف كما تريد، واسأل كما تريد، - 00:04:43
لكن، ليس من حقّك أن تسأل عن الغاية مِن وجودك أنت أيُّها المستكشِف - 00:04:47

عندما نتكلّم في أحكامٍ شرعية، فكثيرًا ما يُعتَرَضُ علينا بمقولة: - 00:04:52
)الإنسان استكشف المريخ، وأنتم لا زلتم تتكلّمون في هذه الأمور(، - 00:04:57
بل السُؤال موجّهٌ لكم أنتم أيُها الجاهلون! - 00:05:01
هل يُعقل أن يستكشف الإنسان القمر والمريخ، - 00:05:04
ويتكلّم عن المجرّات التي تبعد عنّا مليارات السّنوات الضوئيّة، - 00:05:07
ثمّ يجهلُ نَفْسَه التي بين جنبيه، والغاية من وجودها؟! - 00:05:12
لكن -إخواني- هذا الجوابُ المتناهي في السّخافة من دوكينز، - 00:05:16
هو في الحقيقة منسجمٌ مع النّظرة الإلحاديّة الماديّة البحتة؛ - 00:05:19
فالصُدفة العشوائيّة لا تفعل شيئًا لغايةٍ، - 00:05:23
والعلم التّجريبيُ هو بالفعلِ لا يستطيع معرفة الغاية من الحياة - 00:05:26
لكن، بدلًا من أن يعترف الملحدون بأنّ هذا يدلّ على قصور النّظرة الماديّة البحتة، - 00:05:31
فإنّهم يستنتجون أنّ سؤالَ:)لماذا نحن هنا؟(- 00:05:36
سؤالٌ سخيفٌ؛ لأنّ مادِيّتهم لا تجيب عنه! - 00:05:40
لا تستغرب بعد ذلك أن يقول دوكينز: - 00:05:43
"الكون كما نشاهده يتمّتعُ بالخصائص الّتي نتوقّعها تمامًا، - 00:05:46
إن كان في حقيقته بلا تصميم، بلا غايةٍ، بلا شر ولا خير، - 00:05:50
لا شيءَ سوى قسوةٍ عمياءَ لا مُباليةً" - 00:05:55
إذن، هذا أسلوبٌ يختاره بعض الملحدين في التّعامل مع الشُعور بالغائيّة: - 00:05:59
تَسْخيفُ هذا الشُعور الفطريّ - 00:06:03
بينما يقول لك البعض الآخر: نعم، على المستوى النّظريّ، - 00:06:06
فالحياة ليس لها هدفٌ حقيقيٌ ولا معنى، - 00:06:09
لكِنّنا، لا يمكننا العيش وفق هذه الرُؤية النظريّة، - 00:06:12
فعلينا أنْ نسعى إلى تخليقِ المعنى، أيْ: لنُوهِم أنفسنا أنّ هناك غايةً - 00:06:16
حتّى نستطيع العيش - 00:06:22
وتجدُ مثل هذا المعنى في فرعٍ فلسفيٍ يسمّى)العَدَميّة الوُجوديّة(- 00:06:23
قد يَخدعُ الإنسان نفسه فترةً من الزّمن لكن، ماذا بعد ذلك؟ - 00:06:28
ماذا اختار بعضهم بديلًا عن هذه المهمّة الصّعبة؟ - 00:06:32
مهمّة إيهام النّفس بأنّ للحياة غايةً، وهي لا تؤمن بما بعد الموت؟ - 00:06:36
يجيبك أحد أكبر مُخرجي الأفلام الأمريكيّة، الملحد وودي آلن "nellA ydooW" - 00:06:41
تعالوا نرَ ماذا يقول: - 00:06:45
]وبالتالي فإنّ الشيء الوحيد الذي يمكن أنْ تفعله كفنّان حيال هذا الأمر - 00:06:48
هو أنْ تحاول أنْ تُقنع نفسك أنّ الحياة جديرة بالعيش ولها معنى، - 00:06:55
ولكن لا يمكنك فعل ذلك إلا عن طريق خداعهم، فالحياة في النهاية ليس لها معنى بالفعل، - 00:07:09
نحن نعيش حياةً لا معنى لها في كونٍ عشوائيٍ، - 00:07:18
ولذلك فهي مهمّةٌ صعبةٌ جدًا أن تقنع الناس بأنّ الحياة جديرةٌ بالعيش، - 00:07:23

وبالتالي أرى أنّ الطريقة الوحيدة الممكنة للتعامل مع الأمر - 00:07:30
هي إلهاءُ وتشتيتُ الناس، فأنا أُشغِل نفسي بهذا، - 00:07:38
فصناعة الأفلام إلهاءٌ رائعٌ، - 00:07:47
وهذا ما تفعله تلك الممثلات أيضًا فهنّ منشغلات بطريقة أدائهنّ - 00:07:51
لشخصيات الفلم، ولولا ذلك: - 00:07:55
لكُنّ في منازلهنّ أو على الشاطئ يتساءلن: ما معنى الحياة؟ - 00:07:59
سوف أتقدّم بالسنّ وسأموت، ماذا سأفعل إذا مات مَن أُحبُّهم؟ - 00:08:06
ولذلك فإنّ الأمر الوحيد الذي يمكن أن تفعله هو أن تلهي نفسك، - 00:08:15
حتى تقضي بعض اللحظات وحتى لا تواجه حقيقة الحياة، - 00:08:21
ولذلك يجب أن نُلهي أنفسنا ونشتِّتها[- 00:08:25
إذن، فهو يقول بأنّ الإعلام يُخادع الناس، - 00:08:30
ويوهمهم أنّ لحياتهم معنى مع أنّها عديمة المعنى في الحقيقة، - 00:08:33
وأنّ أفضل وسيلةٍ هي تشتيتُ النّاس، وإلهاؤهم، حتّى لا يسألوا أنفسهم عن معنى الحياة، - 00:08:37
ولا يواجهوا الحقيقة المُرّة: أنّه لا معنى لها، وأنّ عليك أن تبقى تُلهي نفسك وتشتِّتُها؛ - 00:08:44
لأنّك إن جلست مع نفسك قليلًا، فسيهجم عليك سؤال: ما مصيري بعد الموت؟ - 00:08:50
تذكّر كلماتِه هذه وأنت تقرأ قوله تعالى: - 00:08:55
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾]القرآن95: 91[- 00:08:58
نسوا الله فأنساهم الغايةَ من خَلْقهم، وأنساهم العمل لما ينفعهم، - 00:09:03
واهتمُّوا بكل شيءٍ إلّا بأنفسهم الّتي بين جنبيهم، - 00:09:07
أسلوبٌ آخر للالتفاف على الشّعور بالغائيّة - 00:09:12
هو ما اتّبعه البروفيسور الملحد - 00:09:16
لورانس كراوس "ssuarK ecnerwaL"، - 00:09:17
كراوس هذا، نشر قبل شهور كتاب - 00:09:18
)أعظم قصّةٍ رويت حتّى الآن: لماذا نحن هنا؟(، - 00:09:21
ويا للمفارقة بين العنوان والمضمون! - 00:09:24
فالكتاب هو محاولةٌ لتسهيل فكرة العَدَميّة على الملحدين، - 00:09:27
محاولةٌ لتخفيف ألم سؤال الغاية من الوجود والمصير بعد الموت - 00:09:31
ألقى كراوس محاضرةً في جامعة كونواي "yawnoc" بنفس مضامين الكتاب، - 00:09:36
وبعد أن شرح دقّة القوانين الّتي تحكم الكون، دقّةً مذهلةً، - 00:09:40
قال: "العالَم الذي نتواجد فيه، استثنائيٌ جدًا، لكنّه صدفةٌ"، - 00:09:44
ثمّ ماذا استنتج كراوس في النّهاية؟ تعالوا نرَ... - 00:09:50
]الكون ليس مجرّدَ وهمٍ بل صدفةٌ، ولا سببَ لوجودنا، - 00:09:54
لم يتمّ تصميم الكون لوجودنا بأيّة طريقة يمكن أنْ نراها، - 00:10:01
بل ويمكن أن يتلاشى هذا الوجود - 00:10:04
وهذا هو الجمال في الموضوع لأنّه يعني أنّنا محظوظون جدًا لأنّنا هنا، - 00:10:06

وقد تطوّرت لنا عقولٌ يمكنها التفكير بهذا ويمكنها الاستمتاع، - 00:10:10
وبالتالي فبدلًا من أن نشعر بالإحباط من ذلك، عليكم أن تستمتعوا باللحظة العَارِضَة[- 00:10:13
إذن، يقول لك لا تشعر بالإحباط مِن كونِ حياتنا بلا معنى، - 00:10:19
بل استمتع بهذه الصُدفة، الّتي أتت بك إلى الكون! - 00:10:23
كلُ هذه محاولاتٌ للالتفاف على هذا الشعور بالغائيّة؛ لأنّه شعورٌ فطريٌ عميقٌ، - 00:10:26
يجفِّف القلب، بحيث لا يرويه إلّا ماء الوحي النّقيُ، - 00:10:33
كلُ هذه حيلٌ نفسيّةٌ يخدع الملحدون بها أنفسهم، - 00:10:37
وَهُمُ الّذين يقولون عن المؤمنين بوجود الله، أنّهم يخدعون أنفسهم - 00:10:41
الملحد الفرنسي الشّرِس جان بول سارتر "ertraS luaP-naeJ" - 00:10:46
لم يتحمّل الاستمرار في هذه المخادعة، - 00:10:49
وبعد سنواتٍ طويلةٍ أمضاها في محاربة مبدأ وجود الله، - 00:10:52
علا صوت فطرته وشعوره بالغائيّة فقال: - 00:10:56
"لا أشعر أنّي وليد الصُدفة، نقطةٌ من التُراب في هذا الكون، - 00:10:59
بل أرى نفسي شخصًا محسوبًا حسابُه، معَدًا لغاية، سَبق تقديرُه - 00:11:03
باختصار، كائنًا لا يمكن أنْ يُوجده في هذه الحياة إلّا خالقٌ، - 00:11:09
وإنّ ما أعنيه باليد الخالقة هو الإله"، - 00:11:13
ثُم ترك سارتر إلحاده واعترف بوجود الله لكن، للأسف على غير ملّة الإسلام - 00:11:17
نعود فنقول: أسئلة الشُعور بالغائيّة ضاغطةُ، ومواجهتها مؤلمةٌ جدًا للملحد، - 00:11:22
فالإنسان بلا غايةٍ يصبح تافهًا بلا قيمةٍ، - 00:11:28
وما أصعب أن تشعر بأنّك تافهٌ! - 00:11:31
الملحد ستيفن هوكينغ "gnikwaH nehpetS"، - 00:11:34
القائل -كما ذكرنا مِن قبل-: - 00:11:35
"الجنس البشري هو مجرّد وسَخ كيميائيٌ، موجودٍ على كوكبٍ متوسّط الحجم"، - 00:11:37
هو أيضًا القائل في نفس السّياق: - 00:11:42
"إنّنا عديمو الأهميّة تمامًا، - 00:11:45
بحيثُ لا يمكنني أن أُصدِّق أنّ هذا الكون كُلّه موجودٌ مِن أجلنا" - 00:11:47
كذلك تجد في مواقع الملحدين كلامًا نصُه الحرفيُ: - 00:11:52
"صورتنا الجديدة عن علم الكون تخبرنا أنّنا أتْفَه ممّا كنّا نتصوّر في الكون، - 00:11:56
ليست لنا قيمةٌ على الإطلاق، - 00:12:02
فلماذا سيكون هكذا كونٌ -نحن فيه عديمو الأهمية لهذه الدرجة- قد خُلِقَ لأجلنا؟! - 00:12:04
في التّصوُر الإسلامي، نحن مخلوقون لغايةٍ عظيمة: - 00:12:11
عبادةِ الله تعالى، وتكوين علاقة المحبّة بيننا وبينه، - 00:12:14
وأن تَظهر فينا آثار صفاته، آثار كرمه، - 00:12:19
وإنعامه، ورحمته، وعفوه، وهدايته وإحسانه، - 00:12:22
فغايةٌ كهذه تستحقُ تسخير الكون لصالح مَن كُلِّفَ بها - 00:12:26

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [القرآن 54: 31] - 00:12:30
بينما الملحدون يقولون لك: - 00:12:35
"لا، بل نحن أحقر وأحطُّ من ذلك"، - 00:12:37
ومع ذلك، يعتقد البعض أنّ الإلحاد يحترم الإنسان - 00:12:40
لسانُ حالِ الملحدين يقول: غايُتنا في الحياة، أنْ نُقنع النّاس بأنّه لا غاية للحياة! - 00:12:44
الإنسان في ظِلّ الإلحاد وسَخٌ كيميائيٌ، تافهٌ، - 00:12:50
لا يستحقُ أن يوجد الكون من أجله، أصوله حيوانيّةٌ مُنحَطّةٌ، - 00:12:53
عقله مشكوكٌ في مصداقيّته -كما بيّنّا-، - 00:12:57
حياته بلا معنى، بلا أخلاقٍ مطلقةٍ، بلا غايةٍ، - 00:13:00
بَل مجرّد تساؤله عن الغاية والمصير تساؤلٌ تافه - 00:13:03
ومَن قال بغير ذلك من الملحدين فإنّه يخالف إلحادَه، ولا ينسجم مع نفسه، - 00:13:07
ومع ذلك، يعتقد البعض أنّ الإلحاد يحترم العقل والإنسان! - 00:13:13
فالحمد لله الّذي كرّمنا بمقام العبوديّة له، - 00:13:18
ولم يجعلنا من المُهَانين الّذين امتنعوا عن هذا المقام، - 00:13:21
فأهانوا أنفسَهم بأنفسِهم - 00:13:25
﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [القرآن22: 81] - 00:13:28
والسّلام عليكم ورحمة الله - 00:13:30